استمارة المشاركة

الملتقى الوطني الأول حول:

الحركات الإصلاحية في المغرب العربي وعلاقتها بالفكر التحرري

الاسم واللقب: إكرام مصابيحي

المؤهل العلمي: طالبة دكتوراه

التخصص: تاريخ بلاد المغرب المعاصر

مؤسسة الانتماء: جامعة ابن خلدون – تيارت –

البريد الالكتروني: messabihiikram1970@gmail.com

رقم الهاتف: 0541835866

عنوان المداخلة: موقف أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر "الشيخ أبو اليقظان بين النزعة الدينية والجهاد الصحفي"

محور المداخلة: المحور الرابع/ دور قادة الحركات الإصلاحية المغاربية في مواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية

ملخص المداخلة:

يعتبر دور النخبة الإصلاحية ببلدان المغرب العربي عامة والجزائر خاصة من أهم الأدوار التي عملت على مجابهة الفكر الاستعماري الذي كرس سياسته الدينية للقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري، حيث نجد أن هذه النخب سعت إلى دفع عجلة الحركة الوطنية في سياقها الإصلاحي الديني الوطني وفي طليعتهم أسطون الصحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان أحد القادة البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من أغزر الكتاب الجزائريين عطاء إذ كان أبرز من طاوعته ريشته في دبج المقالات الإسلامية الراقية. لقد آمن مثله مثل العديد من رجالات الجمعية من أن دوي الكلمة ووقعها أشد خطرا على العقل من أي وقع آخر فكرس حياته مناضلا في هذا الميدان جاعلا من قلمه وسيلة لذلك، ولما كانت رسالته الصحفية تستميت في الدفاع عن الهوية الدينية الوطنية للشعب الجزائري وتفضح سياسة فرنسا الدينية رأت فيه إدارتها تهديدا لكيانها في الجزائر فعملت على تضييق الخناق عليه بكل الوسائل لإجهاض مشروعه الإصلاحي.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم أبو اليقظان، الإصلاح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السياسة الدينية الفرنسية، الصحافة، الهوية الدينية الوطنية.

Abstract :

The reformist elites, in the Maghreb countries in general and Algeria in particular, play a crucial role to face the colonizer's religious policy which aims for the elimination of the Arab-Islamic identity of Algerians. These intellectual figures sought to return back the national movement to its national religious reformist roots. Sheikh Ibrahim Abi Al-Yaqzan is one of the founding fathers of the Association of Algerian Muslim Scholars, with innumerable collection of highly sophisticated Islamic articles. He, like many of the Assembly's men, believed in the power of words and how much it is dangerous to the mind than any ever existing tool in the world. Therefore, he dedicated both his intellect and talent to realize the latter, making his pen a means of doing so. However, in his pursuit to defend the Algerian identity and to expose the invader religious policy, he grew to become a threat to the existence of the French administration in Algeria. Consequently, it tried to clamp down on him by all means to abort his project.

Key words: Association of Algerian Muslim Scholars, French religious policy, Ibrahim Abi Al-Yaqzan, national religious identity, press, reform.

مقدمة:

عملت النخبة الإصلاحية ببلدان المغرب العربي عامة والجزائر خاصة على مقارعة الاستعمار الرامي إلى طمس مقومات الشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري والمغاربي من جهة، وتكوين جيل ذو وعي ديني مهيأ للعمل الوطني من جهة أخرى، لتكون خارطة خارطة طريقها قائمة على الإصلاح الديني الشامل بالرجوع إلى مصدري التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن بين هذه الشخصيات سيد الفكر والقلم الشيخ إبراهيم أبو اليقظان (1888–1973)م أحد أبرز وجوه الحركة الإصلاحية في الجزائر، وقامة من قامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صاحب الباع الطويل في النضال الصحفي.

راهن الشيخ أبو اليقظان في ظل الاستعمار الفرنسي وسياسته الدينية المجحفة على دوي الكلمة، فقد طاوعه قلمه وسمحت له قريحته بكتابة المقالات الصحفية الشريفة ذات الطابع الدعوي المباشر الذي يغلب عليه الوعظ والإرشاد، دافع من خلالها عن الهوية الدينية الوطنية للشعب الجزائري وجعلها محور اهتماماتها، كما نظر إلى المسألة أنها سلاح للجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وسياسته الدينية القائمة على الاستلاب الثقافي للشعب الجزائري. ومن خلال هذه الكتابات الصحفية حاولنا التعرف على مشروعه الإصلاحي، حيث اختصرنا الموضوع في جانبه الديني.

انطلاقا من هذا خصصت هذه الورقة البحثية والموسومة ب: موقف أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر "الشيخ أبو اليقظان بين النزعة الدينية والجهاد الصحفي". لتسليط الضوء على الصحفي المصلح الشيخ أبي اليقظان، ودور صحافته في النضال باعتبارها وسيلة أدبية اتخذت البعد الديني الوطني. وللإجابة عن إشكال عام تمثل في:

– إلى أي مدى استطاع الشيخ أبو اليقظان التعبير عن توجهه من خلال نضاله الصحفي في ظل السياسة الدينية الفرنسية المنتهجة في الجزائر؟ وهو إشكال تندرج ضمنه أسئلة فرعية كثيرة منها:

– من هو إبراهيم أبو اليقظان؟ وما هي العوامل التي صنعت فكره المتفرد؟

–هل ساهمت صحافة الشيخ أبي اليقظان في الدفاع عن مقومات الهوية الدينية الوطنية للشعب الجزائري ونشر الوعي بين أوساطه في ظل سياسة الاستعمار الفرنسي التغريبية؟ وكيف كانت رد فعل إدارته إزائه؟

احتوت الدراسة على محورين أساسيين هما كالتالي:

–ترجمة لحياة الشيخ أبي اليقظان.

–مناهضة صحافة الشيخ أبي اليقظان للسياسة الدينية فرنسية في الجزائر.

أولا: ترجمة لحياة الشيخ أبي اليقظان

1– الأصل والنسب:

هو الشيخ أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى، بن يحيى، بن داود، بن عيسى، ابن داود، بن الشيخ الحاج أحمد، بن الشيخ بلقاسم، بن حمو بن عيسى حمدي، نسبة إلى جده الخامس الشيخ الحاج أحمد لاعتدادهم بشخصيته وعلمه، وهو من عشيرة "البلات" الكريمة في القرارة[1]، ويصل نسبه الشريف ونسب قبيلته إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي، وقد انتقل أجداد الشيخ من جنوب المغرب الأقصى ليستقر بعضهم في "ورجلان" بجنوب الجزائر، ومنه انتقل الشيخ بلقاسم إلى القرارة[2].

[1]– القرارة: تقع في الجهة الشمالية الشرقية لغرداية بحوالي 120كلم، تأسست خلال القرن 11هـ، ينظر: أحمد توفيق المدني، الجزائر، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص227.

[2]– محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ط1، مطبعة دار البعث، قسنطينة، 1974، ص220.

لقب نفسه بأبي اليقظان تيمنا بالإمام أبي اليقظان محمد أفلح، بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، إعجابا بعدله، وعلو همته كرجل علم ودين، ودولة، فتلقب به، وقد صار أبو اليقظان لقبا للشيخ وأولاده وأحفاده وغطى على لقبهم الأصلي "حمدي"[1].

2- المولد والنشأة:

ولد الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى يوم الاثنين 29 صفر 1306هـ الموافق ل 5 نوفمبر 1888 بالقرارة جنوب الجزائر[2]، من أبوين شريفين و نسب كريم ينتهي إلى الحسين بن الإمام علي رضي الله عنه، وقد أكد ذلك الشيخ العلامة الأكبر أطفيش في تحقيقه لنسب هذه العائلة[3].

كان والده الشيخ الحاج عيسى بن يحيى من أكثر الناس حظوة ومكانة في المجتمع الميزابي لما كان له من فضل على الناس في مجال المساعي الخيرية، يعد عضوا في مجلس العزابة وهو مجلس ديني معروف لدى بني ميزاب يتولى مهام دينية واجتماعية عديدة في حياة السكان[4]، وله بالمنطقة آثار حسنة، اشتهر بالخلق الكريم، والسلوك القويم، والغيرة على الدين، فاختارته عشيرته وكيلا على اليتامى فاعتنى بتربيتهم ورعاهم في أنفسهم وأموالهم[5].

توفي الحاج عيسى في عام 1890م تاركا وراءه بنتا وثلاثة بنين أصغرهم هو المترجم له، الذي لم يكد يمضي على ولادته سوى عام وثلاثة أشهر، فكلفته أمه ولم يكن لهم من مرتزق غير عملهم الفلاحي الذي لا يسد متطلبات العائلة وحاجياتها[6]. إن خدمة الأرض قد ساهمت في صقل شخصية أبي اليقظان فقد كان ابن الغابة وابن العمل، وابن النخلة على حد قول الأستاذ محمد علي دبوز[7]، كما أذكت فيه حب جمال الطبيعة مما أثر في شخصه ليجعل منه شاعرا فحلا مليا و كاتبا بليغا[8].

أما عن والدته فهي السيدة عائشة بنت الحاج أمحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة من عشيرة أولاد حمو إبراهيم المعروفة في القرارة، تميزت بالأخلاق الحسنة والذكاء، فعكفت هي وجدتهم من أمهم على تنشئتهم تنشئة حسنة، وكفالة أولادها كفالة طيبة فنشئوا على الاستقامة والصلاح[9].

---

[1]- يمينة بن رحال، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1306هـ- 1888م)(1393هـ-1973م)، د.ط، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص26.

[2]- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص109.

[3]- جيلاني ضيف، بناة المجد أبو اليقظان، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص14.

[4]- نفسه، ص15.

[5]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص229.

[6]- محمد الهادي الزاهري، المصدر السابق، ص110.

[7]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص198.

[8]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص53.

[9]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، المصدر السابق، ص238.

نقول أن التنشئة الاجتماعية الميزابية المحافظة والوسط البيئي الفقير والعمل الفلاحي الشاق كانت بواعث ومحركات للعظمة والمجد والطموح للشيخ، فقد كتب القدر للفتى إبراهيم أن يسير في درب العظماء والأخيار من أبناء الجزائر.

3- التكوين العلمي:

أ- الجزائر:

أقبل الشيخ أبو اليقظان على الكتاب وعمره ثماني سنين وكان قد تأخر في بدء تعلمه الابتدائي إلى هذه السن لحاجة أخوية إليه في الفلاحة فعاقه ذلك عن الدخول إلى الكتاب في السادسة أو السابعة، وكان معلمه الأول هو السيد الحاج إبراهيم بن صالح بوصحابة فعلمه القراءة والكتابة وحفظه جزءا من القرآن الكريم، ليستظهره كله على يد الإمام الشيخ إبراهيم بن كاسي وذلك سنة 1905م، لينتقل بعد ذلك إلى معهد الحاج عمر بن يحيى أين أخذ مبادئ الفقه والتوحيد والأخلاق[1].

يقول الشيخ إبراهيم بلسانه عن هذه المرحلة المهمة من حياته وكان عمره اثنتا عشرة سنة، "أسرعت إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى أتأبط لوحي وأحمل دواتي وأقلامي، فشعرت بنشوة عظمى وأنا أدخل المعهد وكان ذلك اليوم أعظم عيد في حياتي فتطورت تطورا كبيرا في المعهد..."[2].

ما لبث الشيخ أبو اليقظان يتلقى العلوم عن شيخه حتى انتقل إلى معهد قطب الأئمة الشيخ أطفيش في بني يسجن عاصمة ميزاب العملية وذلك سنة 1907م، حيث أخذ عنه العلم العريض من الأصول والبلاغة، المنطق، التجويد، العروض والوضع[3] فلازمة نحو ثلاث سنوات. كما درس على يد بعض قدماء تلامذة القطب وهم:

- الحاج إسماعيل زرقون في مادتي النحو والصرف.
- الحاج سليمان بن بكير مطهري في الاصطلاحات الفقهية والشريعة الإسلامية.
- عبد الرحمن بن عمر الفرضي و رمضان بن يحيى اللّيني الحبري في الحساب والفرائض[4].

لم تكن مهمة تلقي العلم بالأمر اليسير على الشيخ إبراهيم في ظل الإمكانيات المحدودة، وفي بلد ساد فيه الجهل، و قلت فيه المدارس وضيق فيه في العلماء والمعلمين تبعا للظرف الاستعماري القاسي، لكن هذا لم يثني من عزيمة الشيخ في طلب العلم بمسقط رأسه القرارة ثم بني يسجن ليتم بذلك مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي، قبل أن يستقر بتونس ليزاول تعليمه العالي.

---

[1]- محمد الهادي الزاهري، المصدر السابق، ص ص110-111.

[2]- موسى حميش، الشيخ إبراهيم أبو اليقظان الصحفي الشاعر، تق: عبد الرحمان الجيلالي، د.ط، منشورات بغدادي، الجزائر، 2013، ص10.

[3]- محمد الهادي الزاهري، المصدر السابق، ص111.

[4]- يمنية بن رحال، المرجع السابق، ص ص32-33.

ب-تونس

لم يكن التحصيل العلمي الذي اكتسبه الشيخ أبو اليقظان ليرضيه فيمم شطر تونس حيث جامع الزيتونة العامر وذلك سنة 1912م[1]، بعدما استصعب عليه الذهاب إلى مصر ليلتحق بالأزهر الشريف نظرا لإمكانات أسرته المتواضعة[2]، ولما كانت تونس مقصد المثقفين من الجزائريين لاستكمال تعليمهم العالي انتظم الشيخ في دروس جامعها و بين طلبتها كما أنه داوى بصره هناك[3].

أخذ الشيخ إبراهيم العلم على يد أعلام جامع الزيتونة المشهورين نذكر منهم: الشيخ عبد العزيز جعبيط في كتاب التنقيح في الأصول للقرافي، وعن الطاهر بن عاشور كتاب التفسير، وعن الشيخ النخلي كذلك التفسير، عن الشيخ محمد بن يوسف تفسير البيضاوي بحاشية الشيخ عبد الحكيم، وعن الشيخ ابن الحسن النجار كتاب الأشموني في النحو وجمع الجوامع في الأصول، وعن الشيخ ابن القاضي كتاب السيرة، وعن الشيخ الصادق النيفر كتاب الأشموني وكتاب السيرة[4].

لم يكتف أبو اليقظان بدروس الجامع الأعظم، بل راح ينهل من الدروس المسائية في المدرسة الخلدونية[5]، ومن بين الأساتذة الأجلاء الذين تتلمذ عندهم نذكر: الشيخ محمد الأشرم في الجغرافية، والشيخ مناشو في الإنشاء، والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في التاريخ، والأستاذ محمد العبيدي في الرياضيات، والأستاذ الزعيم الثعالبي في سياسة الدول وفلسفة حياة العصر الجديدة، والأستاذ الطاهر بن صالح الزواوي في اللغة الفرنسية[6].

احتك الشيخ أثناء إقامته بتونس بكثير من العلماء، ومن بينهم: الشيخ صالح بن يحيى العضو في اللجنة التنفيذية في الدستور القديم وهو عم الشاعر الثوري مفدي زكرياء والأستاذ سليمان الجدوي صاحب مرشد الأمة التونسية، وكذلك الأستاذ المؤرخ عثمان الكعك وأمير الشعراء الأستاذ خزندار صاحب ديوان خزندار الشهير[7].

---

[1]- محمد ناصر، مشايخي كما عرفتهم، ط1، دار الريام، الجزائر، 2008، ص57.

[2]- محمد الهادي الزاهري، المصدر السابق، ص111.

[3]- يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص35.

[4]- إبراهيم أبي اليقظان، الإسلام ونظام المساجد والعشائر في وادي ميزاب، تع: الحاج أحمد بن حمو كروم، د.ط، جمعية التراث، غرداية، 2021، ص29.

[5]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 57.

[6]- إبراهيم أبي اليقظان، المصدر السابق، ص26، ص29.

[7]- الزبير سيف الإسلام، "آخر حديث لعميد الصحافيين الجزائريين المرحوم أبي اليقظان عن التاريخ النضالي للصحافة الوطنية"، مجلة الأصالة، ع 14-15، 1973، ص ص282-283.

أثناء إقامة الشيخ أبي اليقظان بتونس كان رئيسا لأول بعثة ميزابية إلى هناك وذلك في سنة 1914م[1]، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى وأحداث تونس الداخلية اضطرت أبا اليقظان للعودة إلى الجزائر في سنة 1915م، ولكنه ما لبث أن عاد إلى تونس في السنة التالية، واستمر تواجده المتقطع فيها حتى سنة 1925م أين عاد إلى الجزائر[2].

إن النشاطات والمسؤوليات الإدارية للشيخ خلال فترة وجوده في تونس من ذلك الإشراف على البعثات الطلابية الميزابية والنشاطات السياسية بانضمامه إلى الحزب الدستوري الحر سنة 1920م الذي كان يتزعمه الشيخ عبد العزيز الثعالبي أين نشط الشيخ سياسيا وتشبع بالأفكار السياسية وأساليب النضال السياسي والتوجه الوطني والنضال الصحفي[3]، بالإضافة إلى نشاطاته الإصلاحية المبكرة في وادي ميزاب ميزاب كل هذه الأعمال قد أثرت على متابعة تعليمه بصورة سليمة ومنتظمة في جامع الزيتونة فلم يحصل على شهادته النهائية، وعاد نهائيا إلى الجزائر عام 1925م[4].

نستطيع القول أن الزيتونة مثلت نقلة نوعية للشيخ أبي اليقظان صقلته فكريا وثقافيا، حيث عرف نشاطا متميزا، فارتاد مكتباتها وانتظم في دروسها، مصاحبا أعلامها ليتشبع بالأفكار الإصلاحية، كما أنه تأثر بمجريات الحياة السياسية والاجتماعية بها، كل هذه العوامل هيئته لحمل مهمة الإصلاح في بلده الجزائر الذي هد بنيانه ومقوماته الاحتلال الفرنسي.

4- الوفاة والمؤلفات:

أصيب الشيخ أبو اليقظان بداء الشلل النصفي سنة 1957م، ولكن أعماله ونشاطه الثقافي والاجتماعي ظل متواصلا إلى أن وافته المنية وذلك عام 1973م[5]، تاركا وراءه تراثا فكريا ضخما يقارب 60 مؤلفا فكان مثالا للصبر وتحدي المرض الذي أقعده حوالي 16 سنة[6].

نذكر من مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر:

أ- من كتبه:

- حياة سليمان باشا الباروني في جزأين مطبوعين في المطبعة العربية.
- ديوان أبي اليقظان الجزء الأول مطبوع سنة 1931م، وقد غير اسمه إلى "وحي الوجدان من ديوان أي اليقظان"[1]، فضم المديح والتهاني، والفخر والحماسة، الاستعطاف، الحكم، الوصف، العتاب أو التأنيب ثم

---

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص57.

[2]- موسى حميش، المرجع السابق، ص13.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب لإسلامي، 1998، ص291.

[4]- موسى حميش، المرجع السابق، ص13.

[5]- قاسم الشيخ بالحاج، الشيخ أبو اليقظان الصحفي المصلح، د.ط، العالمية للطبعة والخدمات، الجزائر، 2017، ص11.

[6]- يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص48.

ثم الرثاء، أما الجزء الثاني فتمحور حول ثلاثة عناصر جوهرية "في الجهاد الوطني والإصلاح الإسلامي" ومع "العالم الإسلامي" ثم "في الوصف" وفي "المراثي و المآسي"[2].

- سلم الاستقامة بأجزائه السبعة.
- ملحق سير الشماخي في ثلاث حلقات.
- الإباضية في شمال إفريقيا في حلقتين[3].

ب- من رسائله:

- نظام العشائر في وادي ميزاب.
- إرشاد الحائزين المطبوعة في تونس.
- صبر يوسف يتجلى في محنته[4].

ت- من تراجمه:

- نشأتي مخطوط.
- ترجمة الإمام أبي إسحاق أطفيش الميزابي مخطوط[5].

ثانيا : مناهضة صحافة الشيخ أبي اليقظان للسياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

1- مقاومة التبشير المسيحي:

كانت سياسة التبشير في الجزائر من أكبر اهتمامات صحافة الشيخ أبي اليقظان، فقد واجه هذه الحركة و قادتها التي يغذيها ويدعمها الاستعماري الفرنسي المسيحي فقد اعتمد عليها واعتبرها ركيزة أساسية لسياسته الدينية في مستعمراته وهي السياسة الرامية إلى نشر المسيحية بطرق متعددة[6]، أما واضح أساس الحركة فهو الكاردينال لافيجري صاحب المساعي الحثيثة لمحو مقومات الشخصية الإسلامية وفي هذا الصدد يقول: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجائها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل...تلك هي رسالتنا الإلهية "[7].

---

[1]- إبراهيم أبي اليقظان، المصدر السابق، ص ص40-41.

[2]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا..وأنواعا، وقضايا..وأعلاما، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص63.

[3]- إبراهيم أبي اليقظان، المصدر السابق، ص41.

[4]- نفسه ، ص41.

[5]- يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص49.

[6]- البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي (1952-1954)، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص202.

[7]- صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830 -1962)، ج1، ط2، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص208.

لم تختلف نظرة العسكريين عن رجال الدين فهذا السكرتير بيجو يصرح بالقول : "أخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا "[1].

من هنا تفطن الشيخ أبو اليقظان لهذا السرطان القاتل، وأعلن منذ بداية حياته الصحفية بأن التبشير آلة استعمارية في ثوب كهنوتي يستغل مراكزه من أجل الغزو الفكري وقد وزعت في جميع أنحاء القطر الجزائري، ولاسيما في المناطق النائية من الجبال والقرى والصحراء حيث يكثر الفقر والجهل[2]، من هنا راح الشيخ يلاحق بصحفه ومقالاته تحركات المبشرين ويفضح مخططاتهم تدفعه نزعته الدينية الإسلامية و غيرته على قرآنه ودينه ولغته وقوميته، والمتحكم إلى عناوين مقالاته ليستشف ذلك نذكر منها: حركة التبشير في العالم الإسلامي، الإسلامي بين شقي المقراض وغيرها[3].

كتب الشيخ في العدد 161 من جريدة الأمة مقالا بعنوان "ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟" مما جاء فيه: "إن جماعات المبشرين ما زالوا ولا يزالون يلهون ويمرحون دائبين في خططهم الماكرة من غير أن يلووا على شيء، وكيف يرجعون عن غيهم، وهم يجدون من الحكومة كل مناصرة وكل مؤامرة ويلاقون منها وسائل التشجيع والتنشيط وهم على باطل..." [4]، إن هذا المقال قد عرى الحقائق عن المبشرين ومثل تحد صارخ للسلطة الحاكمة فملاحقة المبشرين تعد ملاحقة للسلطة الحاكمة نفسها، وقد كان قلمه سباقا في ذلك[5].

لم يقف أبو اليقظان عند هذا الحد بل أخذ يفضح الوسائل التي يستعملها المبشرون لبث تعاليمهم في أوساط الجزائريين خصوصا منها التعليم والتطبيب فكتب مخاطبا إياهم قائلا: " كفوا عنا أيها المبشرون إذايتكم وإفساد ديننا وأخلاقنا باسم التعليم والتطبيب...دعونا من تعليمكم، وعلموا أنفسكم وداووا أنفسكم، فقد أغنانا الله عنكم وعن تعاليمكم بالإسلام..."[6].

أمام هذا الخطر المحدق بالعروبة والإسلام في الجزائر نشر الشيخ فصلا يحث فيه الجزائريين على العمل و ينعى فيه الكسلاء الذين يعتذرون عن العمل بقرب نزول عيسى عليه السلام[7] كما كتب عن عن الغافلين من المسلمين عن المفاسق والخرافات بينما يد المبشرين الماكرة تكيد لهم فيحثهم على

---

[1]– يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص131.

[2]– محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1، ط5، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص82.

[3]– نفسه، ص85.

[4]– أبو اليقظان، "ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟"، الأمة، ع 161، 5 أفريل 1938.

[5]– محمد ناصر، أبو اليقظان...، المرجع السابق، ص85.

[6]– أبو اليقظان، "إفتحوا أعينكم أيها الغافلون"، وادي ميزاب، ع 111، 7 ديسمبر 1928.

[7]– محمد ناصر، أبو اليقظان...، المرجع السابق، ص83.

النهوض والدفاع عن الإسلام[1]، كما يدعوهم إلى التضامن ليقضوا جميعا كالبنيان المرصوص أما أعداء الإسلام فيقول:" واحدوا صفوفك رعاكم الله، واجمعوا جهودكم وضمنوا قواكم، وسيروا إلى الأمام بقلوب مفعمة، إيمانا ونفوس طافحة صدقا وإخلاصا فإن الحالة حرجة للغاية والأمر في شدة الخطر"[2].

عندما أدرك المبشرون خطر أبي اليقظان عليهم، ولما كانت مقالاته صواعق نزلت عليهم استعانوا في القضاء على جرائده بالإدارة الاستعمارية، ففتحت له باب المسائلات واستدعي للتحقيق المطول، لتصدر في حقه قرارات الوقف تطاله شخصيا وتطال صحفه[3].

2- محاربة الطرقية:

وقف المحتل الفرنسي على ضعف بعض الطرق الصوفية المنحرفة عن جادة الدين الإسلامي، وما يشيعونه من ضلال وموبقات، فأصبح شيوخ الطرق الصوفية مطية للاستعمار يركبها لأغراضه، لتكون أداة مطيعة في أيدي الإدارات الاستعمارية، فاستغلت هؤلاء الجهلة من شيوخ الطرق والدجالين فسخرتهم في الجوسسة ومحاربة الإصلاح[4]، وقد كتبت جريدة البصائر ذات مرة تقول: "المرابطون هم حيوانات الاستعمار الداجنة، فهم الأداة التي تنفذ الأوامر المشئومة والجسر الذي يفتح له الطريق..."[5].

من الأفكار التي روجوا لها والتي خدمت الاستعمار الفرنسي مسألة القدرية أي تحذير الجزائريين الساذجين من الكفاح بدعوى أن الاحتلال الجزائري هو قضاء وقدر وينبغي التسليم به والصبر عليه[6]، فقامت بنشر البدع والخرافات وتشجيع الاعتقاد دون الانتقاد ومن ذلك مبدأ حياة الزهد التي أذاعوها بين العامة، والتي وقف عندها الشيخ أبو اليقظان واعتبر مفهومه لا يخدم المجتمع، ولا يحقق أغراضه، ولا يبني الوطنية، لأن الزهد عند الطرقية هو من مرادفات الانكماش، الجمود والخمول والتوقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك يقول: "إن الزهد هو ترك الحرام، وهو بهذا المعنى واجب شرعا، وكما يشمل ترك ما في أيدي الناس إلا بالحق فكذلك يشمل ترك الغيبة والنميمة والكذب والخيانة والحسد والحمية الجاهلية "[7].

---

[1]- أبو اليقظان، "حركة التبشير في العالم الإسلامي"، وادي ميزاب، ع80، 27 أفريل 1928.

[2]- أبو اليقظان، "إنما المؤمنون إخوة "، وادي ميزاب، ع116، 11 جانفي 1929.

[3]- محمد ناصر، أبو اليقظان...، المرجع السابق، ص85.

[4]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص58-59.

[5]- شارل أندري جوليان، إفريقيا شمالية تسير، تر: المنجي سليم، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص ص125-126.

[6]- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط4، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص97.

[7]- دون إمضاء، "أخلاق الجاجلة"، وادي ميزاب، ع60، 9 ديسمبر 1927.

إن هذا الوضع لم يرضى جمعية العلماء المسلمين خاصة وأنها تدعوا للإصلاح الشامل والعودة إلى مصدري التشريع القرآن والسنة والعمل بهما قولا وفعلا، فأخذت على عاتقها محاربة هذه الطرق الفاسدة، ولم يكن الشيخ أبو اليقظان ليتخلف عن ذلك باعتباره أحد قاماتها البارزين وباعتباره سيد القلم فقد كانت صحفه قوارع وصواعق على هؤلاء، كما أن مجابهة الطرقية هي نقطة شراكة بين صحف أبي اليقظان وصحف جمعية العلماء المسلمين[1].

كتب عنوانا مثيرا "بدعة بديعة" في هذا الصدد ازدانت به جريدة وادي ميزاب استنكر من خلال هذا المقال وصول شيخ الطريقة الطيبية لوادي ميزاب تحت الحراسة وتأمين فرنسي، ومكوثه بالمنطقة ثلاثة أيام ليؤسس زاوية تابعة له بها ، وهو ما اعتبره الشيخ بداية لنشر البدع والخرافات، ومحاربة جهود الإصلاح كل هذا بدعم من إدارة الاحتلال الفرنسي وهو ما أثار حفيظته[2].

دافع الشيخ أبو اليقظان من خلال جريدة الأمة عن جمعية العلماء وكشف كفاحها المستميت ضد الطرقيين وأعوانهم ومما جاء فيها: " كانوا أول محرك للثقافة العربية وأول الدعاة للدين الخالص فما هانوا وما استكانوا، ... بل أجمعوا أمرهم حين رأوا العذاب بالمسلمين و تقطعت بهم الأسباب من ضعف إيمانهم حتى أصبحوا أشلاء تتقاذفهم أمواج الخرافات والبدع ... "[3].

نجد دفاع الشيخ عن الجمعية في مقام أخر ضد إدعاءات الطرقيين واتهامهم للعلماء بإفساد الدين في مقال معنون ب: "من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه؟" على صفحات جريدة الأمة[4]، دحض من خلاله خلاله هذه الإدعاءات وبين الظالم من المظلوم وأن من واجب الأمة الجزائرية أن تقف مع جمعية العلماء المسلمين حتى لا يطعن في مقاصدها الشريفة ذات البعد الوطني سفهاء العقول من القوم الذين يسعون في خراب الأمة بدل إصلاحها[5].

إن أبا اليقظان كغيره من رجال الإصلاح لم يجد الطريق سهلا في إبداء مواقفه المختلفة تجاه السياسة الدينية الاستعمارية وأعوانها من الحركات التبشيرية والطرقيين الذين فتنوا الناس بما أشاعوه من بدع لا تمت للإسلام بصلة، ومساعيه الحثيثة لإعادة الدين الإسلامي إلى صفاءه ومحاربة كل من يريد أن يطفأ نور الإسلام أو يحرفه عن طريق البدع والخرافات، ولقد لقي في سبيل ذلك حواجز وقيودا وملاحقة دائمة من دوائر الاحتلال الفرنسي الغاشم كلفته غاليا، لكن بالرغم من كل ذلك تمسك الشيخ بالمبادئ والقيم السامية من أجل جزائر ناهضة حرة مستقلة.

---

[1]– يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص127.

[2]– دون إمضاء، "بدعة بديعة"، وادي ميزاب، ع 60، 9 ديسمبر 1927.

[3]– محمد جفال التبسي، "تحامل المغرضين على العلماء العاملين"، الأمة، ع 24، 12 مارس 1935 .

[4]– سعيد، "من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه؟"، الأمة ، ع 39، 27 أوت 1935.

[5]– يمينة بن رحال، المرجع السابق، ص129.

الخاتمة:

إن هذه الدراسة المتواضعة تبين لنا الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون للحفاظ على مقومات هوية الشعب الجزائري وبث الوعي الوطني بين أوساطه، وروح التصدي التي لا تلين في مواجهة الاستعمار الفرنسي وسياسته الدينية التعسفية، كما يقودنا هذا البحث إلى استخلاص السمات المميزة لصحافة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان التي اتخذت عدة أبعاد منذ القرن العشرين، ومن خلال هذه الصحافة الحرة يمكن أن نصل إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط التالية:

- نهل الشيخ ابراهيم أبو اليقظان من الثراء الثقافي الذي زخر به مسقط رأسه "القرارة" بغرداية، مما أكسبه تكوينا ثقافيا في علوم القرآن واللغة بالإضافة إلى البيئة الأسرية الدينية المحافظة التي نهل منها الشيخ وما كان لمعهد القطب الشيخ أطفيش من الأثر البليغ في تكوينه العلمي أين توسعت أفكاره وتطورت، وعامل السياسة الاستعمارية الذي أثر في نفسيته فصقل شخصيته، ليرتحل في مرحلة أخرى إلى تونس وهناك أخذ العلم على يد كبار الأساتذة من أمثال "الطاهر بن عاشور" وغيره الكثير، إن هذه المدارس كلها كانت وثيقة الصلة بالطابع التقليدي للثقافة العربية على تفاوت متصاعد، فهذا المسار التعليمي الحافل للشيخ قد رسم نهجه وأدبه وحدد اتجاهه الإصلاحي.
- تمكنت صحافة أبي اليقظان من انتزاع مكانة لها في الدفاع عن القضايا الوطنية إلى جانب الصحافة الإصلاحية الأخرى وفق طرح موضوعي خال من كل توجه شخصي أو مذهبي وقفت وبشكل مطول عند القضايا الدينية، وبالرغم من المضايقات والصعوبات التي تعرضت إليها صحف أبي اليقظان إلا أنها استطاعت توجيه الرأي العام في الجزائر وتنبيهه إلى المكائد التي تدبر ضده بغية الحيطة والحذر كمرحلة أولى ومعرفة كيفية التعامل معها في مرحلة ثانية.
- التفت الشيخ أبو اليقظان إلى محنة الإسلام التفاتة المصلح والمربي والداعية وهذا ما عبرت عنه مقالاته الصحفية في مختلف جرائده الحرة، ويمكن القول أن سياسة التبشير والطرقية والدفاع عن الإسلام ولغة القرآن هي كبرى القضايا الوطنية التي ركز عليها في مقالاته، عكست بحق وضع الحياة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وان صبغت باللون القاتم الحزين النابع من قساوة الرسالة الإصلاحية التي قادها رجال جمعية العلماء المسلمين، كما خصص الكثير منها للرد على مكائد الاستعمار الفرنسي وفضح سياسته التعسفية وإسقاط قناع الديمقراطية عنه التي من شعاراتها احترام قدسية الدين وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وغرضه في ذلك توعية الشعب الجزائري والدفاع عن الشخصية الجزائرية وعن مقوماتها اللغوية والدينية والثقافية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1-1-الجرائد:

جريدة الأمة:

العدد24، 12 مارس 1935/ العدد39، 27 أوت 1935/ العدد161، 5 أفريل 1938.

جريدة وادي ميزاب:

العدد60، 9 ديسمبر 1927/ العدد80، 27 أفريل 1928/ العدد111، 7 ديسمبر 1928/ العدد116، 11 جانفي 1929.

1-2- الكتب:

1. **الإبراهيمي البشير**، آثار البشير الإبراهيمي (1952-1952)، ج4، ط1،دار الغرب الإسلامي، 1995.
2. **أبي اليقظان إبراهيم**، الإسلام ونظام المساجد والعشائر في وادي ميزاب، تع: الحاج أحمد بن حمو كروم، د.ط، جمعية التراث، غرداية، 2021.
3. **جوليان شارل أندري**، إفريقيا شمالية تسير، تر: المنجي سليم، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
4. **دبوز محمد علي**، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ط1، مطبعة دار البعث، قسنطينة، 1974.
5. **دبوز محمد علي**، أعلام الإصلاح في الجزائر،ج3، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
6. **دبوز محمد علي**، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
7. **الزاهري محمد الهادي**، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926.
8. **المدني أحمد توفيق**، الجزائر، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

2- المراجع:

1. **بالحاج قاسم الشيخ**، الشيخ أبو اليقظان الصحفي المصلح، د.ط، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2017.
2. **بن رحال يمينة**، الشيخ أبو اليقظان ابراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1306هـ-1888)م (1393هـ-1973)م، د.ط، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

3. **بن قينة عمر**، في الأدب الجزائري تاريخا..وأنواعا، وقضايا..وأعلاما، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017.
4. **تركي رابح**، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط4، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
5. **حميش موسى**، الشيخ ابراهيم أبو اليقظان الصحفي الشاعر، تق: عبد الرحمان الجيلالي، د.ط، منشورات بغدادي، الجزائر، 2013.
6. **سعد الله أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، 1998.
7. **سعد الله أبو القاسم**، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
8. **ضيف جيلالي**، بناة المجد أبو اليقظان، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
9. **عوض صالح**، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830-1962)، ج1، ط2، مطبعة حلب، الجزائر، 1992.
10. **ناصر محمد**، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1، ط5، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
11. **ناصر محمد**، مشايخي كما عرفتهم، ط1، دار الريام، الجزائر، 2008.

3- المقالات و الدوريات:

1. **سيف الإسلام الزبير**، "آخر حديث لعميد الصحافيين الجزائريين المرحوم أبي اليقظان عن التاريخ النضالي للصحافة الوطنية"، مجلة الأصالة، ع 14-15، الجزائر، 1973.